

## القسم الثالث

### امهات المدن والقرى بصقلية

#### ومعالمها وآثارها

### بالسمة

من امهات المدن قديماً وحديثاً ؛ ومن اجل واجمل الحواضر في كل الاقطار والامصار ؛ جمال في المناظر واعتدال في الطقس ومياه دافقة وحدائق وخمائل ، ومروج وبساتين وقصور شاهقة ودور فسيحة الرحاب وآثار باقية مما تركه السلف للخلف .

كان اسمها اليوناني « بانرموس » وكانت مدينة كنعانية قرطاجنية حساً ومعنى ؛ ولقد رأينا في المقدمة التاريخية مدى ما بذلته قرطاجنة من جهد عنيف للاحتفاظ بالجزيرة وجوهرتها الفريدة ؛ لكن بالرمة وقد استحوذت عليها روما لعدة قرون ، قد احتفظت بمرکزها الممتاز واصبحت من ابهر دور التاج الروماني انما قد بلغت بالرمة اوج عزتها وسدرة منتهى رونقها وبهاثها ، عندما اتخذ منها الامراء المسلمون ثم ملوك بني الحسن ، عاصمة للملكم ؛ واصبحت مركزاً من اهم مراكز الحضارة والنور بالبحر المتوسط ، وارتفعت بتجارها وصناعتها وعلومها الى مصاف عواصم الاسلام الكبرى .

يسكن هذه المدينة اليوم نحو من ٣٩٠.٠٠٠ نسمة ؛ حول مرسى هو من اهم مراسى ايطاليا وقسمه القديم يدعى الى يومنا هذا « القلعة » La Celo على مقربة من آثار القصر العربي القديم « قصر العمارة » Castellammare ولم تبق حداثات الايام والحروب المتوالية على كثير من آثار الكنعانيين

الفرطاجنيين ، ولا من آثار الرومان والعهد الاسلامي ، الا ان آثار النرمانيين وهي من انشاء العرب قد بقيت قائمة الى يومنا هذا شاهدة بعظمة وحسن ذوق منشئها وفي بالرمة العتيقة لا تزال حارات عديدة تحمل الطابع الافريقي على شكل مدنها الاسلامية بهذا الشمال ، ولا تزال هنالك حارة تدعى «Attarini» كانت بلارب حارة او سوق العطارين .

قصر الفوارة — هو من اهم آثار بالرمة الاسلامية ؛ واقعد نرغم بذكر

محاسنه الشاعر عبد الرحمان بن ابي العباس حينما يقول :

فوارة البحرين جامعة المنى \* عيش يطيب ومنظر يستعظم

يقم هذا القصر الشامخ الذرى فوق جزيرة تحيط بها بركة صناعية من جهات ثلاثة ، ولقد شاده وبالف في تزويقه الامير جعفر ؛ من ملوك بني الحسن ، فيما بين سنتي ٩٩٧ و ١٠١٩ ميلادية ، واتخذ منه هو وخلفاؤه من بعده مقراً للترف والتعيم .

وعندما ضرب الدهر بضرباته وتحطم سلطان المسلمين هناك ، اصبح قصر الفوارة مقر اللهو واللعب والحلاعة لملوك النرمانيين ومن تبعهم ؛ ثم اخني الدهر على هذا القصر عندما اصبحت الجزيرة العوبة بين ايدي الغاصبين من ملوك اروبا فلم يبق منه اليوم الا الخرابات وكنيسة صغيرة شادها المسلمون للملك رجار وبعض اقبية وغرف ؛ وحوالي القصر لا تزال ترى البناء الذي يحيط بالبركة الصناعية ليحبس بها الماء ، ولا تزال ترى الحنايا الاسلامية الثلاثة التي كان الماء يجلب عليها للبركة المذكورة .

قصر العزيز — ويدعوه الارويون لازيزا La Ziza شاده ليتخذ منه مقراً

لملكه وسلطانه ، الملك غليام الاول فيما بين سنتي ١١٥٤ و ١١٦٦ م ، بواسطة مهندسين وبنائين ونقاشين من المسلمين فكان القصر آية من آيات الفن المعماري

الاسلامي ، ولقد ابقت الايام على اكثره ، ولم يحل به ما حل بقصر الفوارة من التخريب ، وهناك ما شئت من باهر الاقواس الهندسية وبديع النقوش الخلاصة والكتابة الكوفية على النمط الهندسي حول الابواب والتقاويس ، وعيون جارية تغذى فوارة في وسط البهو الاكبر ثم يتكون من ذلك سيل لطيف من الماء يمتشق القاعة ثم يختفي تحت ابوابها .

قصر القبة — هو بقاء على شاكلة قصر العزيز ، اتم صنعه البناؤون المسلمون حوالي سنة ١١٨٠ م ، ولقد تحطم اكثره وبالإسف ، ولم تبق الا بعض جدرانها وقاعاته قائمة ، تذكر الايام بما سلف لها من مجد ، وعلى بعض الجدران ترى آثار الفسيفساء البديعة التنسيق ، وكتابة على النمط الكوفي ذات جمال خلاب ، ونقوش مدهشة على قواعد الرخام ، ومن اجل ما ابقت عليه عوادي الايام بهذا القصر قاعة القبة ، وهي حسبما يدل عليه اسمها قاعة فسيحة الارجاء تعلوها قبة منقطة بنقوش خلاصة من الرخام الصناعي .

الكنيسة الكاتدرائية الكبرى — هي من اهم بدائع الفن والجمال بالرملة

شيدت سنة ١١٨٥ على يد صناع من المسلمين ؛ وكانت خليطاً من الفن العربي والفن الغربي ، انما تغلب عليها الصبغة العربية على ان قسماً منها شيد على انقاض مسجد جامع لاتزال هيأته على حالها تقريباً وعلى ابوابها وبين اقواسها رسمت بالجنس آيات من القرآن الكريم بالخط الكوفي .

القصر الملوكي — آية خالدة من آيات الفن والجمال ، انشاء الملوك المسلمون

فكان مقر الدولة والامارة ، ثم استقر به ملوك النرمان بعد ذلك ، فزادوا في مساحته و اضافوا اليه ، بواسطة البنائين المسلمين اقساماً اخرى ، ولا يزال قائم الذات يذكر الخلف الغافل بعظمة تاريخ السلف الحافل ، ومن روائع اقسام هذا القصر الملوكي : الكنيسة الصغرى التي ابتناها العمال المسلمون بأمر الملك رجار

الثانى ، فيما بين سنتى ١١٣٢ - ١١٤٠ ، فهي درة وضاعة وسط عقد الآثار  
الاسلامية الخلافة ، ومن ابداع ما يراه قاصدو بالرمة ، تشد اليها رحال السائحين  
من كل قطر ؛ ومن اغرب ما يراه المشاهد هنالك سقفاً بديع الشكل يخلب الابصار  
وهندسة غريبة في بناء النوافذ ، تكسب النور حينما ينعكس بعضه على بعض رونق  
الموسيقى وروعة الشعر الرقيق ، ولا سبيل للاطناب فى وصف ما هنالك من نقوش  
( نقش حديدية ) وفسيخساء خلافة الالوان .

ومن جملة البدائع المحفوظة بهذه الكنيسة الفنية ضمن ذخايرها الفنية صندوق  
من صنع المسلمين كله قطعة من عاج منقوش ؛ وعلى مقربة من القصر الملوكي وكنيسته  
توجد كنيسة القديس يوحنا ، وقد بناها الصناع المسلمون كذلك بأمر الملك رجار  
الثانى ؛ على النمط العربي الخالص ، وضمن هذه الكنيسة يوجد مسجد اسلامي قديم  
دخل فى صلب الكنيسة وبقي على حاله غير متنافى فى هندسته مع ما اضيف اليه .

المتحف الكبير — من أجل ما يرى ايضاً بالرمة متحفها الاثري الرائع

الذى جمع فاعوى ، قيمة فنية كبرى وجمال عرض وبديع تنسيق ، وفيه قاعة  
اسلامية عربية عرضت فيها بدائع ما تركه الصناع المسلمون هنالك من تحف نادرة  
وطرائف ثمينة من اواني وزخارف حديدية وبدائع من الخزف والبلور والرخام  
وغير ذلك من ادوات المنازل وكاليات الترف والنعيم .

هذا علاوة على ما فى المتحف المذكور من آثار الكنعانيين والقرطاجنيين ومن  
آثار الاغريق والرومان والبرمان وغيرهم .

وفي بالرمة ، دون ذلك ، عدة من متاحف اخرى تتعلق بالتاريخ العقلي ؛  
وفيهما المكتبة البلدية التى تشمل ما يزيد عن مائتي الف مجلد ، منها نحو الثلاثة  
آلاف مخطوط .

ضواحي بالرمة — على نحو ستة اميال من بالرمة توجد مدينة القاموق

الاسلامية الاصل والتي احتفظت باسمها فهي تدعى اليوم Alcamo وسكانها يتجاوزون الخمسين ألفاً ، وحاراتها القديمة تذكر بايام المسلمين ؛ وعلى نحو الحسين ميلا من بالرمة توجد مدينة الزقاق ، وقد احتفظت باسمها كذلك فهي اليوم Siacca وهي من اهم المدن الاثرية الصقلية ، لا يزال اغلبها على حاله كما كان ايام دولة المسلمين ودولة الترمان .

## مسينا

من اهم المدن الصقلية واجملها موقعا ؛ يسكنها اليوم ما يزيد عن ١٨٠ ٠٠٠ نسمة ؛ ومرساها من اوسع مراسى البحر الابيض المتوسط واكثرها حركة ، وتحيط المدينة بالمرسى فى استدارة بديعة ؛ حيث ترى عقداً ثميناً من القصور الخلابه الجمال يحيط بجيد حسناء فاتنة . لكن نكبة مؤلمة اصابته المدينة سنة ١٩٠٨ ( ٢٨ دسابر ) حيث اغتالها زلزال رهيب دام ٣٢ ثانية ، فخطمها نخطيماً فظيماً وفقدت باهلها فتكا ذريعاً ؛ فمات فيها وحواليها ما يزيد عن المائة الف نسمة ؛ ثم استرجع الانسان حقوق حياته ، فاعاد بناء المدينة على انقاض الخرابات ، واصبحت مسينا الحديثة تكاد تعادل مسينا العتيقة بهاء ورونقا وجمالا ، ولهذا الحادثة يشير شاعر النيل حافظ ابراهيم بك رحمه الله حيث يقول فى وصف المدن الصقلية الطليانبة :

ارضها جنة وحرور \* وولدان — وملك كبير

تحتها والعياذ بالله نار \* وسعير ومنكر ونكير

وليس فى مسينا ما يدل على انها بقيت بعض قرون مر كزاً من اهم مراكز العمران الاسلامى بصقلية ، ولعل الحروب المتوالية فيها وفيما حوالها بين المسلمين والروم ؛ وبينهم وبين الايطاليين ، ثم النرمانيين قد جعل آثار المسلمين هنالك منعدمة الوجود .

من اعجب ما فى مسينا ؛ مقبرة ضحايا الزلزال المذكور آنفاً ، فقد جعلت هذه

المقبرة في ابداع مكان مشرف على المدينة ، يرى منه منظر نادى اتفاق الباحثون على انه من اجمل مناظر ايطاليا وصقلية معاً ، وغرست فيها حديقة جمعت في تناسق بديع كل انواع الاشجار والزهور والرياحين .

ومن اهم ما يرى بها متحفها الفني الغني ؛ وليس به الا القليل النادر من آثار المسلمين ومنها في الصالة رقم ٥ صندوق بديع الصنع حسن التركيب .

## شيفالو

اما شيفالو ؛ فهي مدينة صغيرة يسكنها جماعة من الصيادين ، لا يتجاوز عدد سكانها العشرة آلاف ، انما تمتاز بوجود كنيسة كتدراثية هي بلا ريب اجمل واقدم كتدراثيات صقلية ، امر بنائها الملك رجار سنة ١١٣١ ، وابتناها كما ابنتى غيرها في ذلك العهد البناؤون المسلمون ، وبالفوا في تزويقها وتميعها ، وفيها اقدم واجمل فسيفساء بالارض الصقلية وتجاه الكنيسة متحف صغير بديع فيه مجموعة كاملة من النقود الصقلية في مختلف العصور ؛ ومن بينها بل ومن اهمها النقود الاسلامية . وعلى نحو ميل من المدينة وفوق صخرة ترتفع ٢٦٩ متراً توجد اثار قصر وصهريج من اثار المسلمين .

## ترمينى

واما مدينة ترمينى ولا تبعد عن بالرمة لا ١٩٦ ميلا وسكانها نحو العشرين الفا ، فهي تكاد تكون مدينة اسلامية خالصة بحاراتها وازقتها ودورها وطريقة العيش فيها ، كثيرة الحركة فيها حمامات حارة وفيها متحف بلدي يضم كثيراً من الآثار والنقوش والنقود الاسلامية .

## مازرة

لا يزيد سكانها اليوم عن ٢٥ الفا ، ولم يبق بها ما يكشف الستار عن ماضيها

الاسلامي الحافل لولا ما يدل على مشاركة البنائين المسلمين في اقامة هيكل الكاتدرائية وبعض الكنائس الصغرى التي أنشئ، أكثرها على انقاض المساجد الاسلامية عندما دالت دولة المسلمين هناك .

## مرسى على

كانت هذه المدينة ايام المسلمين من أكثر المراسي حركة وأكبرها تجارة لأنها كانت نقطة الاتصال بين صقلية والبلاد الافريقية وقد فقدت المدينة أهميتها منذ انقطعت الصلات بين القطرين ، التونسي والصقلي ، فلم تبق لمرسى على الا أهميتها الحضرية ، وذكر ياتها التاريخية ؛ وسكانها الآن (٥٧٠٠٠)

تجاه مرسى على ، وعلى بعد نحو ٨ كيلومترات منها توجد جزيرة معطية القرطاجينية التي سبق ذكرها في المقدمة التاريخية وكان المسلمون يدعون هذه الجزيرة « المعزية » ولقد أجريت حفريات في هذه الجزيرة ووقع اكتشاف الكثير من آثارها القرطاجينية و مرساها العتيق .

## أطرابنش

تستدير هذه المدينة حول مرساها في شكل هلال ؛ وسكانها يبلغون ٧١٠٠٠ نسمة وليست بها حركة تذكر كما انه لم يبق بها ما يذكر بايام المسلمين ، لولا ما هو موجود بمتحفها من قطع النقود الاسلامية وبعض اقمشة من صنع المسلمين .

## قلعة النساء

لم يبق لها من القديم الا الاسم ، اشتهرت اليوم بتجارة الكبريت ويكاد سكانها الذين يبلغون ٧١٠٠٠ لا يشتغلون الا بذلك وبما يمت له من صناعة وبالمدينة متحف صغير فيه بعض آثار اسلامية ليست بذات أهمية ، والى جانب المدينة توجد آثار القلعة الاسلامية التي تدعى اليوم قصر بياترا روسا ؛ ومن هذه القلعة يشرف

الانسان على قصر يان التي لم يبق بها اليوم شيء من آثار المسلمين ، انما على مقربة منها (٣ كيلومتر) توجد « قلعة السبت » Caltà Cibetta وسكانها نحو السبعة آلاف ويمكن اعتبار هذه المدينة اقدم مدن صقلية اليوم من حيث بناؤها الذي بقي على اصله منذ القرون الوسطى و من حيث لباس اهلها وتقاليدهم التي بقيت في معزل عن الحياة الحاضرة .

## طبرمين وضواحيها

اذا استثنينا جمالها الطبيعي ومركزها الممتاز بالنسبة للمتسوحين فاننا لانجد في طبرمين اهمية من ناحية التاريخ الاسلامي ؛ ولعلك تذكر ان المسلمين لم يحتلوا مدة طويلة هذه المدينة التي كانت باستمرار معقل المقاومة البرنطية حتى اذا تمكن المسلمون من ناصيتها نهائيا سنة ٩٠٢ ميلادية دكوها دكا كي يقطعوا آخر امل الروم فيها ؛ وقد بقيت بها الآن اثار قصر قديم يدعى « قصر المولى » Mola يشرف على المدينة وضواحيها .

ومن المدينة التي لا يجاوز سكانها اليوم الثمانية آلاف نسمة ، يسير الانسان نحو قرية لاتزال عربية اسما هي « القنطرة » Alcantara على مجرى الوادى المدعو بالقنطرة ايضا ، وهناك في تلك الضواحي مدينة لاتزال كذلك تحمل اسما عربيا وتكاد ديارها تحمل الطابع العربي الاسلامي ايضا وهي قرية « الزعفرانة » Zafferana

## قطانية

ان كانت هذه المدينة تعتبر اليوم ثاني مدن صقلية بعد بالرمة ، وان كان عدد سكانها يجاوز ٢٢٧٠٠٠ ؛ وان كانت بناؤها الضخمة وعماراتها البديعة تجعلها في مصاف المدن الكبرى ؛ فانها رغم كل ذلك لاتشبع نهم الباحث المسلم لانها لاتحوى شيئا يذكر من اثار المسلمين ، وذلك لانها علاوة على التخريب الذي لحقها كما لحق كل مدن صقلية من جراء حوادث الاحتلال النورماني قد اصابها

زلزال عنيف حطمها تحطيماً ذريعاً سنة ١٦٩٣ ؛ فلم يبق بها عمراناً واهالك فيها ١٦٠٠٠ نسمة .

اهم ما يراه الباحث فيها اليوم متحفها الذي جمع فيه القضاة كثر من  
اثار صقلية ومجموعة ثرية من الصور والرسوم ؛ ومكتبة فيها نحو الحسين الف  
مجلد منها نحو الخمسة مخطوط نفيس والفي رق فيها الكثير من اوائل العهد النرمانى

### سرقوسة

روعة وجمال وبهاء وجلال ؛ هي مهد الذكريات الاغريقية والقرطاجنية ،  
يمين عليها خيال ارخيدس العظيم ؛ سكانها اليوم نحو من ٧٠ ألفاً واثارها  
السابقة للعهد الاسلامى غنية ثرية ؛ وبها متحف يكاد يكون مختصاً بدراسة اثار  
ومدينة شعب الصيقول ، وبدائع من صنع المدينة الاغريقية والفنية ؛ انما ليس بها  
ما يشبع نهم الباحث من التاريخ الاسلامى ، واهم اثارها على الاطلاق هو المسرح  
اليونانى الشهير الذى ابتناه الملك هيارون حورين سنة ٤٧٠ ق . م ؛ وهو اهم ما  
تركته لنا ايدي الزمان من مسارح الاغريق وتبلغ دائرته ١٣٨ متراً .

### نوطس

كانت اثناء التاريخ الاسلامى مركز ولاية ، وكانت ذات اهمية كبرى  
اسسها الصيقوليون ووسع دائرتها المسلمون ، واستمرت مدينة اسلامية فى سائر  
مظاهرها الى سنة ١٦٩٣ حيث نحطمت بصفة تامة وهجرها سكانها فابتنوا على  
مقربة منها مدينة جديدة ؛ انما فى اثارها رسم هياتها الاسلامية السابقة ؛ واما  
المدينة الجديدة فليست من الناحية الاثرية بذات اهمية يسكنها اليوم ٣٣٠٠٠ من  
الناس .